يضرب». وذهبنا الى موقع عمليات آخر. الاخ عبد الرزاق المجايدة قال لي: «يا رجل ما فيش شيء ولا في طيران، وين نتحرك بالقصف، همّه والمدفعية شغّالة». قلت له: «خليك هون وتحمل أنت مسؤولية نفسك». لكنه عندما رآنا جميعاً نغادر غادر معنا، وفي السادسة مساء جاء الطيران وقصف الموقع. كنا قد تركنا في هذا الموقع اثنين من شباب العمليات للحراسة فقط وقلنا لهم ألا يتواجدوا في داخل المبنى بل الى جانبه، ويبدو أن رجلاً كان ماراً في الشارع هو وزوجته وأولاده هاربين من القصف، نادهم أحد الشابين وأدخلهم معه الى المبنى لتفادي نيران القصف المدفعي. بعد لحظات ذهب الزوج ليحضر سيارة لنقل عائلته ورافقه أحد الشابين، أما الآخر فقد ظل الى جانب الزوجة والأولاد ليهدىء من روعهم. وما ان ابتعد الزوج والشاب حوالي العشرين متراً عن المبنى حتى جاء الطيران وقصف وكانت الزوجة والأولاد والشاب الذي بقي الى جانبهم من بين ضحايا تلك الغارة. «شوفي القدر كيف، احنا هربنا من المكان بالحاسة السادسة وهم جاءوا الى المكان صدفة، ناس ماريين في الشارع، لا هم في الموقع ولا عايشين فيه جاءوا ليستشهدوا». وقد أحسست شخصياً بالألم لاستشهادهم، وكنت أشعر شخصياً وكأنني مسؤول عن استشهاد ذلك الشاب الذي بقي هناك لحراسة الموقع، رغم أنني حذرته من التواجد في داخل المبنى. هذه بعض الحكايات التي يشعر المرء، انسانياً، عندما يتذكرها، وكأنه أخطأ، أو أسهم في سوقهم للاستشهاد.

ومن اللحظات المصيرية تلك التي عشتها يوم قصف الطيران المتواصل في الحادي عشر من آب. لقد بدأ الطيران في ذلك اليوم طلعاته منذ الصباح ــ أعتقد منذ السادسة صباحاً وبدون انقطاع ــ واستهدف كل موقع ولا موقع. وسعى الى تدمير المدفعية بشكل أساسي. حتى أنه كان يفتش عن الهاون الصغير ليدمره. كنت يومها في العمليات ٥ ــ أ «وتشوفي كيف الحالة العامة، لمّا مع كل انقضاض يقول كل موقع هلق دوري، وهذا الحكي استمر من الساعة ٦ صباحاً للساعة ٢ بعد الظهر. لكن في النهاية الواحد قلبه جمد وما عاد أي انقضاض يؤثر عليه» لكنني في النهاية ولتكرار الطلعات التي تجاوزت المئة، أحسست «بدوشة» في رأسي وأحسست برغبة عارمة في الخروج الى الشارع. «اندوش رأسي» من صوت الطيران. ذهبت في سيارتي ومعي الشباب وجهاز اللاسلكي بشبكته الكاملة. أخذت طريق رأس برج أبو حيدر ووقفت في منتصف الشارع بلا مبالاة وقلت لنفسي «فليكن الطوفان». لم يكن هناك أحد في الشارع «هوَّ في سيارات، شوارع البلد فاضية، كان معي بريموس وشوية قهوة. قلت للشباب يالله نسوي قهوة، بدنا نشرب قهوة». في تلك اللحظات ناداني على الجهاز المقدم عطيه، والمقدم عطيه هو واحد من الناس الذين أبدعوا في هذه المعركة وكان لهم دور عظيم، وهو قائد ميداني فذ حاز على احترام وثقة المقاتلين والقيادة وكل الناس، ناداني على الجهاز قائلاً: الآن هناك محاولة للتقدم على سباق الخيل، أريد قصفاً مدفعياً. كان ينادي عليّ من موقعه: هل استلمت الملحوظة، قلت له: استلمت.. الطيران يغطي السماء، ومحاولة تقدم من المتحف على سباق الخيل، الطيران يفتش عن موقع أي مدفع وعلى كل سيارة وكل لمعة. «طيب بدي أنادي على أي موقع على ٢٠٢، [واصف] أقول له يرمي. واصف بدو يشغّل مدفعين أو ثلاثة»، بالتأكيد مع أول لمعة سوف يضربوا هذا المدفع، اذن